

الثقافة الرقمية تدفع الأفراد إلى التخلي عن خصوصياتهم

أندرياس برنارد يكشف عن طرق ناعمة للتحكم بالذوات



انتهى زمن الخصوصية

طواعية، من أجل التحكم في ذواتهم والسيطرة عليها، بعد أمراً محورياً للوضع الراهن للذاتية. حيث انعكس "التنميط العنصري" الذي تجرته الشرطة في محطات القطار ووسائل المواصلات العامة. والذي يخضع الأشخاص ذوي السمات العرقية المحددة لمراقبة مستمرة وذلك بناءً على الشك التنبؤي. في الملفات الشخصية التي أنشأها أصحاب شبكة "لينكد إن" لأنفسهم وفي جهاز الإرسال الذي يعمل بنظام "جي.بي.أس" ويتم تثبيته في قدم "من يمثل خطورة ما" وفي أساور اللياقة البدنية التي ترديتها من يقومون بالتدبير الذاتي.

أي أن ذلك "التأثير المتبادل بين تقنيات السلطة وتقنيات الذات". والذي أبرزه ميشيل فوكو في تأملاته الفكرية عن فن الحكم. يتمتع بحضور خاص في الثقافة الرقمية. حيث كتب فوكو "يمكن أن نطلق على نقطة الاتصال، التي يرتبط فيها شكل توجيه الأفراد عن طريق آرائهم بطريقة إدارتهم لذواتهم، اسم الحكم". وهو ما يعني بالنسبة لـ"الحكوماتية" في العصر الحاضر ما قاله توماس ليمكه "إن الحكم لا يشير بالدرجة الأولى إلى قهر الذاتية وإنما إلى إنتاجها الذاتي" في المقام الأول أو وهيرولد. غير أن استخدام الأفراد لهذه التدابير الوقائية على وجه التحديد

وهذا يتعارض بصورة ملحوظة مع التقبل المتزايد دائماً لوجود بعض الانحرافات في المظهر الجمالي، فلم تعد النظرات تلفت لمن يذهب إلى المكتب بقميص "موهوك" حمراء اللون أو بجسد عليه وشوم، لكن القيام بزئمة بالدراجة دون ارتداء خوذة أو استهلاك السجائر بانتظام أو عدم الاكتراث بالوقاية من مرض سرطان الأمعاء في عمر الخامسة والأربعين يدفع الناس المتواجدين في البيئة المحيطة إلى هز رؤوسهم في استنكار ويثير انتقادهم الصريح، وربما كان هذا سيثير قبل ربع قرن أصداء معاكسة لذلك.

مع انتشار تقنية الوسائط الإلكترونية لم تعد عملية حصر البيانات الشخصية وإعادة نقلها مرتبطة بالأزمات أو بالشرطة

ويضيف برنارد أن المعرفة الوقائية تفيد في التحكم في الأفراد والسيطرة عليهم عن طريق سلطات عليا وهو ما احتاط له مونسفريج وواطسون وهيرولد. غير أن استخدام الأفراد لهذه التدابير الوقائية على وجه التحديد

تثبتت فيه الناس تصورات معيارية لحياتهم عن طريق قيامهم بالتدبير الذاتي، ويقومون من تلقاء أنفسهم بعمليات تسجيل خارجية عن طريق الاعتناء بملفاتهم الشخصية. يمكن لهذه الإجراءات أن تعزز من استقلالية الفرد؛ حيث أنها تحرره من أي قوى وسيطة. إلا أنها تساهم، من ناحية أخرى، في تنفيذ الإجراءات التنظيمية على الفرد بتعجل. هناك مجموعتان من التصورات تعتبران مفيدتين في المقام الأول في هذا التنفيذ للإجراءات التنظيمية وهما المجموعتان اللتان تتحركان على العتبة الفاصلة بين الحاضر والماضي؛ ألا وهما "المخاطرة" و"الوقاية".

إن السبب في أن الكثير جداً من الناس يرتدون في الوقت الحاضر أسورة لياقة بدنية، أو يختبرون ذبذبات أجسادهم بالاستعانة بالهاتف الذكي أو يقومون بالتأمين على الحياة "المستند إلى سلوكياتهم"، أو يأمرون بتحليل الجينات الخاصة بهم لمعرفة هل هناك أمراض وراثية محتملة، يتمثل في السعي إلى خفض المخاطر الصحية عن طريق الوقاية. وفي الوقت الحاضر، أصبح هناك توافق اجتماعي بشأن الضرورة الملحة لاتخاذ تدابير وقائية تتعلق بالامن والحالة الصحية الجيدة.

ميشيل فوكو عن "السلطة التاديبية" والتي أصبحت تحاصر الأفراد في الفضاءات المكانية للمؤسسات حديثة النشأة وتقدم لهم أوامر تنظيمية؛ أي في المدارس والكنائس العسكرية والمصانع والمستشفيات والسجون. وقد تددت حلبة السلطة التاديبية بصورة متزايدة على مدار القرن العشرين وهو ما أكد عليه جيل دولوز في مقاله "هوامش على مجتمعات السيطرة" عام 1990. "نحن نمر بإزمة في كل الأوساط الاجتماعية التي تحاصرنا"، هكذا كتب دولوز ووضع "أشكال السيطرة السريعة للغاية ذات المظهر التحرري" محل الفضاءات المكانية السابقة لضبط النظام؛ فوضع "الشركات" المرنة والمفتحة محل المصنع ووضع "التدريب المستمر طوال العمر" محل المدرسة. إلا أن هذا المقلد ذا الرؤية الثاقبة، والذي مرّ عليه في تلك الأثناء ما يزيد على 25 عاماً، قد تم تأليفه في عهد لم تكن صورة الإنسان الجديدة في الثقافة الرقمية وعلوم الأحياء وعلوم الأعصاب قد تشكلت فيه بعد.

فن الحكم

حول إمكانية التحكم في الذات في الثقافة الرقمية، يلفت برنارد إلى أن آليات الاستبطان تنتشر في كل مكان،

مع انتشار التكنولوجيا ووسائل التواصل وإحكام شبكة الإنترنت السيطرة على العالم، تقلص هامش الخصوصية للأفراد بشكل كبير، حيث نشأت ثقافة إنسانية جديدة تلغي الخصوصية تحت شعار الحرية، فصار البشر من مشرق الأرض إلى مغربها، عرضة للاستغلال الاستهلاكي وللتحكم النفسي الذي يصل حد التوجيه.

الشخصية" في وسائل التواصل الاجتماعي، وكذلك أيضاً في وظائف تحديد الموقع الموجودة في الهواتف الذكية، والتي يتم استخدامها بشكل متنوع، وقياسات الجسم وفقاً لحركة "القياس الكمي للذات"، وهو ما يتمثل في حقيقة أنها جميعاً ترجع إلى طرق تم ابتكارها في علم البحث الجنائي وعلم النفس والطب النفسي منذ نهاية القرن الـ19.

اليوم أصبحت تقنيات تسجيل البيانات، التي كانت مقتصرة لوقت طويل على السلطات الشرطة والعلمية من أجل ضمان الوصول إلى مجموعة من الأشخاص يثيرون الانتباه. تخص أي مستخدم للهواتف الذكية وشبكات التواصل الاجتماعي. ومع ذلك لم تعد الأوصاف الشخصية المتعلقة بوصف المظهر الخارجي للأشخاص والمرتبطة ببيانات سيرهم الذاتية وأجهزة نظام الترميز العالمي عبر الأقمار الصناعية "جي.بي.أس" وأجهزة القياس، التي يتم تثبيتها على الجسم بصفة دائمة، بمثابة أدوات لاستقصاء الشبهات الجنائية؛ بل إنها تُستخدم اليوم بمفهوم اللهو أو بمفهوم تواصل أو يتم استلهاها اقتصادياً أو عاطفياً.

يشير برنارد إلى أنه "في ظل ظروف تقنية الوسائط الإلكترونية الرهنة، لم تعد عملية حصر البيانات الشخصية وإعادة نقلها مرتبطة بمواقف الأزمات. فقد تطوّر شعور عام بالتوق إلى إجراء تسجيل ذاتي للبيانات وتحديد الفرد لمكانه تقنياً وإجراء قياسات ذاتية للجسد تقنياً وهو الشعور الذي تقارب مع الاتجاه البيوسياسي نحو أن يقوم الأفراد بانفسهم بعملية تحسين النسل".

ويستدرك متسائلاً: بم تبوح هذه الميول عن الاستعدادات الداخلية للأفراد في الوقت الحاضر؛ ما هي أدوار وتأثيرات القيام طوعاً بمثل تلك العمليات التنظيمية؛ ويقول "عندما نتبع من يعتبرون على الأرجح أهم واضعي نظريات تقنيات السلطة الحديثة، نجد أن هناك حقيقتين كبيرتين قد تشكلتا في تاريخها. حيث تحدث

محمد الحماصي
كاتب مصري

تدور أفكار وتاملات أندرياس برنارد الأكاديمي الألماني بمركز الثقافات الرقمية التابع لجامعة ليوفاينا في كتابه "نهاية عصر الخصوصية" حول وضع الذات في الثقافة الرقمية، حيث الإجراءات والخدمات والأجهزة التي أصبحت في الوقت الحاضر بديهية، وتبدو كأنها أمر طبيعي في ظل استخدامها المتوفر في كل مكان بصورة متزايدة. ومع ذلك فإنها تمثل في تاريخ أنماط تمثيل الفرد لذاته تطوراً حديثاً بشكل مداهن.

ويذكر برنارد أن من التحق قبل ربع قرن بالمدرسة أو الجامعة، مثلاً، سيستدرك مدى محدودية الخيارات المتاحة آنذاك ليعرض الفرد شخصيته وميوله وقناعاته على الملأ. أما اليوم فتبدو هذه الفترة في رأي برنارد كأنها عهد سحيق، يقول "صارت حقبة زمنية غريبة، وبسرعة البرق صار موقع 'فيسبوك' منذ خريف عام 2006 شبكة تفتح أبوابها أمام الجميع وأصبحت الهواتف الذكية متوافرة منذ عام 2007 وأصبحت متاجر التطبيقات الإلكترونية متوافرة منذ عام 2008. وبذلك تكونت ثقافة رقمية واسعة النطاق، تبحث مقالات صحافية وأكاديمية باستمرار أساليب ظهورها وتحفكي بها أو تنشطها. غير أنه نادراً ما يتم النطق لأصل تاريخها المعرفي، وإن حدث ذلك فإنه يكون من منظور تاريخ الكمبيوتر".

التحكم الرقمي

انطلاقاً من هذه الرؤية يحاول برنارد في كتابه "نهاية عصر الخصوصية"، الذي ترجمته سمر منير وصدر عن دار صفصافة، بحث تفاصيل مثل ذلك التاريخ المعرفي واندماج تقنيات الوسائط الرقمية في تاريخ العلوم الإنسانية.

يرى برنارد أن هناك شيئاً ما يفت الأنظار في أساليب تمثيل الذات وعرفقة الذات في أيامنا هذه سواء في "الملفات

نادي أبها الأدبي يقدم صيفا حافلاً بالفعاليات



نادي أبها الأدبي
مستفيداً من التقنية الحديثة والمنصات الرقمية لتوفير الثقافة للجمع

وأشار آل مريع إلى أن البرنامج يشتمل على ست عشرة فعالية، يشارك فيها نحو 60 مشاركا ومشاركة، منهم الشعراء وفنانون من الإمارات وسلطنة عمان، حيث انطلق البرنامج فعليا مساء الأحد بمحاضرة للتقوية منيرة الأزرقى تطرقت فيها إلى دراسة الظواهر اللغوية الحديثة ضمن نشاط حلقة اللسانيات، بينما ستكون آخر فعاليات البرنامج بلقاء ختامي بعنوان "رحلتي مع الكتابة والبحث" يقدمه الدكتور عبدالله أبوداهش.

أبها (السعودية) - دشّن نادي أبها الأدبي السعودي المرحلة الثانية من مبادرته "الثقافة إلى بيتك"، والتي كان قد أطلقها في وقت سابق من الإعلان عن الإجراءات الاحترازية للوقاية انتشار فيروس كورونا، وذلك بهدف استمرار عمل المؤسسة الثقافية.

وأوضح أحمد بن علي آل مريع رئيس النادي والمشرّف على المبادرة أن إدارة النادي رأت استمرار العمل عن بعد، والاستفادة من التقنية الحديثة والمنصات الرقمية لاستمرار فعالياته، وقال "إن المرحلة الآن تستدعي التقيد بأسباب السلامة والتباعد الجسدي حيث سيستمر العمل بمبادرة الثقافة إلى بيتك" في تقديم برامج النادي خلال صيف منطقة عسير 2020، الذي اعتادت المنطقة أن يكون ثريا بالفعاليات الأدبية والثقافية".

وأضاف "استفدنا خلال الصيف من البرامج التي اقترحها الأدباء والمتقنون عبر الاستطلاع الإلكتروني الذي أطلقناه منذ شهر أبريل، وقد جاءت مقترحات قيمة ومهمة، حيث ستجري الاستفادة ممن لم يجد مكانه في برامج الصيف لبرامج النادي ما بعد الصيف، كما ساهمت لجان النادي الثقافية في المحافظات ببعض الفعاليات الثقافية ضمن برنامج النادي".

«أبوظبي للكتاب» يستضيف الكاتب عبد الوهاب عيساوي

على وجهات نظر الأفراد في ذلك الزمان ممن شكلوا قاعدة معيشية لهذه الدول بعيدا عن التوجهات السياسية.

وتطرقت الجلسة إلى استخدام عبد الوهاب عيساوي الأنيق للكلمات والمفردات البليغة لوصف الأحداث في روايته مما يوضح شغفه الكبير باللغة العربية، على الرغم من كونه مهندساً في الميكانيكا الكهربائية. وقال إنه يستمد هذا الشغف العميق من تعلقه بكتب التراث العربي وكتابه. وقد نالت رواية عيساوي "الديوان

والتحكيم والترويج الإعلامي. وأضاف أن عطاء هذه الجائزة لا يتوقف عند الفوز فقط، بل يمثل الفوز بداية لانطلاقة جديدة للنص الفائز حيث تفتح له آفاق جديدة منها الترجمة إلى لغات أخرى والإشهار على مستوى عالمي.

ورأى عيساوي أن الرواية التاريخية دوراً مكملاً للتاريخ، حيث أن معظم التاريخ المدون للوطن العربي كان قد كتب وفق منهجية معينة فهو في أغلب الأحيان تاريخ سياسي يسرد

على وجهات نظر الأفراد في ذلك الزمان ممن شكلوا قاعدة معيشية لهذه الدول بعيدا عن التوجهات السياسية.

وتطرقت الجلسة إلى استخدام عبد الوهاب عيساوي الأنيق للكلمات والمفردات البليغة لوصف الأحداث في روايته مما يوضح شغفه الكبير باللغة العربية، على الرغم من كونه مهندساً في الميكانيكا الكهربائية. وقال إنه يستمد هذا الشغف العميق من تعلقه بكتب التراث العربي وكتابه. وقد نالت رواية عيساوي "الديوان



للرواية التاريخية دور مكمّل للتاريخ

الرواية التاريخية تكشف عن أحداث هامشية تسلط الضوء بكل حياد على وجهات نظر الأفراد في أزمان مختلفة

حقائق دول قامت وسقطت، ولم يكتب ضمن سياق مجتمعي أو علمي. وتأتي الرواية التاريخية للكشف عن أحداث هامشية تسلط الضوء

أبوظبي - استضاف معرض أبوظبي الدولي للكتاب، الكاتب الجزائري عبد الوهاب عيساوي الحاصل على الجائزة العالمية للرواية العربية سنة 2020 عن روايته "الديوان الإسبرطي"، في جلسة افتراضية تم بثها على قناة المعرض على موقع "يوتيوب".

وتنظم دائرة الثقافة والسياحة - أبوظبي سلسلة من الجلسات الحوارية الافتراضية بعد تأجيل دورة هذا العام من معرض أبوظبي الدولي بسبب الأزمة الصحية العالمية، حيث يتحاور مجموعة من الكتاب والمؤلفين والفنانين مع الجمهور من بيوتهم.

وأعرب عيساوي، في بداية الجلسة، عن فخره بفوز روايته "الديوان الإسبرطي" بالجائزة العالمية للرواية العربية كونها تعد من أهم الجوائز الأدبية للروايات، وذلك لتميز طريقة التحكيم والترويج الإعلامي. وأضاف أن عطاء هذه الجائزة لا يتوقف عند الفوز فقط، بل يمثل الفوز بداية لانطلاقة جديدة للنص الفائز حيث تفتح له آفاق جديدة منها الترجمة إلى لغات أخرى والإشهار على مستوى عالمي.

ورأى عيساوي أن الرواية التاريخية دوراً مكملاً للتاريخ، حيث أن معظم التاريخ المدون للوطن العربي كان قد كتب وفق منهجية معينة فهو في أغلب الأحيان تاريخ سياسي يسرد